الباب الأول

بين يدي الحلم

الفصلُ الأوّلُ : الحلمُ في ميزان الأخلاق والأدب .

الفصلُ الثَّاني : من معاني الحلم في معاجم اللغة .

الفصلُ الأوَّلُ

الحِلْمُ في ميزانِ الأخْلاقِ والأدَبِ

* في رحابِ الحِلْمِ وآدابه ، نحيا هذه الصَّفحات النَّضرات ، ننعُمُ في نعيمه ، ونتفيَّأُ في ظلاله ، ونقتطفُ من زهر رُباه ، ونستروحُ عِطْرَ شَذاه ، إذ الحلمُ سيِّد الأخلاق والفضائل ، وينبوع خير الخصائل ، ومصدرُ كلِّ سكينةٍ ووقار ، ومنبعُ كلِّ خيرٍ تقعُ عليه الأبصار .

* فالحلمُ من أشرفِ الأخلاقِ ، وأحقِّها بذوي الألباب الأنجاب ، لما فيه من سلامة العرض ، وراحةِ الجسد ، واجتلاب الحمد ، فلا نكادُ نجدُ خليقةً طيِّبةً ، ولا نتيجةً حسنَةً ، ولا غايةً حميدةً ، ولا نهايةً سعيدةً ، إلا كان الحلمُ طريقَها ، والموصلَ إليها لأنَّه يقتلعُ الشَّرَّ من جذوره ،

ويُطفىءُ النّارَ في أوّلها ، ويقضي على كلِّ فتنةٍ في مهدها ، ويرغمُ الشّيطانَ ، إذ أوّلُ ما حوربَ به الشّيطانُ الحلم والأناة ، وبذلك اندحرَ وخَنَسَ ، وقد قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : أوّلُ عوض الحليم عن حلمه أنّ النّاسَ أنصارُهُ[1] .

* والحلمُ أدبٌ رائعٌ من آدابِ الإسلام ، يهبُ اللهُ هذه السّمَةَ الطيّبةَ مَنْ أحبَّ من عباده ، ومن الطريفِ أنَّ بعضَ العلماءِ جعلَ الحلمَ مُقدّماً على العقلِ فقال : الحلمُ أرفعُ من العقلِ ؛ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ تسمّى بالحلم ، ولم يتسمَّ بالعقل .

* قال بعضُ الأدباء وقد رأى السِّلْمَ في ثنايا الحلم : مَنْ غرسَ شجرةَ الحلم ، اجتنى شجرةَ السِّلْمِ .

* ولعلَّ الحلمَ من أرفعِ الخصائلِ المحمودة ، وأحسنِ الحصائلِ الموجودة ، ولو لم يكن في الحلم خَصْلةٌ تُحْمَدُ إلا

---

(١) وفي لفظ آخر أنَّ عليًّا قال : حلمُكَ عن السَّفيه يكثرُ أنصارَكَ عليه .

ترك اكتساب المعاصي ، والدُّخول في المواضع الدَّنسة ، لكان الواجبُ على العاقلِ ألا يفارقَ الحلمَ ما وجد إلى استعماله سبيلاً .

* قال أبو حاتم البستي ـ رحمه الله ـ : إنَّ من نفاسةِ اسم الحلم وارتفاع قدره ، أنَّ الله جلَّ وعلا تسمَّى به ، ثمّ لم يسمِّ بالحلم في كتابه أحداً إلا إبراهيم خليله ، وإسماعيل ذبيحه ، حيث قال : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] ، وقال : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾[1] [الصافات : ١٠١] .

* إنَّ الحلمَ سجيَّةٌ وتجربَةٌ يكتسبُها المرءُ العاقلُ ويستفيدُ منهما في حياته ، وقد أُثِرَ عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قوله : لا حلمَ إلا بالتّجربة .

* وممّا أُثِرَ عن أبي الدَّرداء رضي الله عنهما قوله المشهور : إنَّما العلمُ بالتَّعلُّمِ ، وإنّما الحلمُ بالتحلُّمِ ، ومن

---

(١) روضة العقلاء (ص ١٤٦) .

يتوخَ الخيرَ يُعْطَهُ ، ومن يتوقَّ الشرَّ يُوقَه[1] .

ولله دَرُّ مَنْ قال فأحسنَ وأجاد :

فارْضَ بما حُمَّ من قضاءٍ يُصِبْكَ من ذلك الخيار
وعِشْ حميداً رخي بالٍ ما زانكَ الحلم والوقار

* إنَّ أوَّلَ درجاتِ الحلم ضبطُ النَّفسِ ، ومصافاةُ الصَّديق ، والبعدُ عن السَّفَهِ والسُّفهاء ، وعن الغضب وهيجان النَّفس ، لأنَّ مَنْ حَلُمَ ساد ، ومَنْ تفهَّمَ ازداد ، وما ذَبَّ عن الأعراضِ كالحلم والصَّفح والإعراض ؛ قال بعضُ بُلغاءِ الشُّعراء :

أحبُّ مكارم الأخلاقِ جُهدي وأكرهُ أن أعيبَ وأن أُعابا
وأصفحُ عن سِبابِ الناس حلماً وشرُّ النّاسِ من يهوى السِّبابا
ومَنْ هابَ الرِّجالَ تهيَّبوهُ ومَنْ حَقَرَ الرِّجالَ فلن يُهابا

* إنَّ العاقلَ إذا ما جارى السَّفيه في سفهه ، ونأى عن

---

(١) روضة العقلاء (ص ١٤٦) .

الحلم ، وكافأهُ بفعله ، فهل هو إلا مثلُه ؟! بل أدنى منه ، ولكنّه إذا ترفَّعَ عن طيشه فإنّه يقهرُه بالحلم ، والفضل :

إذا أنا كافيتُ الجَهولَ بفعلِه فهل أنا إلا مثلُهُ إذْ أحاورُه
ولكن إذا ما طاشَ بالجهلِ طائشٌ عليَّ فإنِّي بالتَّحلُّمِ قاهِرُه

* وممّا يزيدُ في رصيدِ الآدابِ الإسلاميَّةِ أدبُ الحلم ، وهو رداءٌ عظيمٌ من أردية العلم ، وتاجٌ من أجملِ تيجانِ المعرفة ، فقد ورد أنَّ رجُلاً كتب إلى أخٍ له : اعلمْ أنَّ الحلمَ لباسُ العلم ، فلا تعرينَّ منه .

* وكانت دعواتُ أُدباءِ العلماءِ قديماً وحديثاً إلى التَّحلِّي بالحلم ولزومه وتعلُّمه ، فإنَّ المرءَ الحليمَ يرتقي درجات العلا بحلمه ؛ قال أبو حاتم البستي ـ رحمه الله ـ : العاقلُ يلزمُ الحلم عن النَّاسِ كافّة ، فإن صَعُبَ ذلك عليه فليتحالم ؛ لأنَّه يرتقي إلى درجة الحلم[1] .

* إنَّ أوَّلَ الحلمِ المعرفةُ ، ثم التَّثبُّتُ ، ثمَّ العزمُ ، ثمَّ

---

(١) روضة العقلاء (ص ٣٤٧) .

التَّصبُّرُ ، ثمَّ الرِّضا ، ثمَّ الصَّمتُ والإغضاءُ ، وما الفضل إلا للمحسن إلى المسيء ، فأمّا من أحسنَ إلى المحسنِ ، وحَلُمَ عمَّن لم يؤذِهِ ، فليس ذلك بحلمٍ ولا إحسانٍ .

* ومكارمُ الأخلاقِ كلُّها رائعةٌ ، ولكن هنالك فضائلُ تزدادُ حُسناً إذا جُمِعَ بعضها إلى بعض ، فما ضُمَّ شيءٌ إلى شيءٍ هو أحسن من حلمٍ إلى علمٍ ، وما عُدِمَ شيءٌ في شيءٍ هو أقبحُ من عدم الحلم في العالِمِ ، ولو كان للحلم أبوان لكان أحدهما العقل ؛ والآخر الصَّبر .

* والحلمُ دفعُ السَّيِّئة بالحسنة ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٤ـ٣٥] .

* والحلمُ دعامةُ العقلِ ، فليس الحليمُ مَنْ إذا ظُلِمَ حَلُمَ حتى إذا قدر انتصر ؛ ولكنّ الحليمَ العاقل مَنْ ظُلِمَ فإذا قدر غفرَ وعفا .

* والحلمُ جوهرٌ في الإنسان ، يصدرُ عن صَدْرٍ سالمٍ من

الغـوائـلِ والأذى ، صـافٍ مـن شـوائـبِ الكَـدَرِ والقـذى ، لا يُستطاعُ تعلُّماً ، ولا يُدركُ تبصُّراً وتفهُّماً ، كما قال أبو الطيِّب أحمد بن الحُسين المتنبّي :

وإذا الحلمُ لم يكن عن طباعٍ لم يكن عن تقادُمِ الميلادِ[1]

* ويُقال : الحليمُ سليمٌ ، والسَّفيهُ كليمٌ .

* وقال محمد بن عجلان : ما شيءٌ أشدُّ على الشَّيطان من عالمٍ معه حلم ، إن تكلَّمَ تكلَّمَ بعلم ، وإن سكتَ سكتَ بحلم ، يقول الشَّيطانُ : سكوتُه عليَّ أشدُّ من كلامه[2] .

* وقد امتدحَ الفُضلاءُ الحلم فقالوا : الحلمُ والأناةُ توءمان ينتجهما علوُّ الهِمَّةِ .

* ومن كلام النبوَّةِ : « كادَ الحليمُ أن يكون نبيًّا » .

* وقالوا : الحلمُ مطيَّةٌ وطيئةٌ تبلِّغُ راكبَها قاصية المجد ، وتُملِّكُهُ ناصيةَ الحمد .

---

(١) نهاية الأرب (٦/ ٤٨) .
(٢) المستطرف (١/ ١٩٢) .

* وقال أبو هلال العسكري : ومن أشرف نعوتِ الإنسان أن يُدعى حليماً ، لأنَّه لا يُدعاه حتى يكون عاقلاً وعالماً ومصطبراً ومحتسباً وعفوًّا وصافحاً ومحتملاً وكاظماً ؛ وهذه شرائفُ الأخلاق ، وكرائمُ السَّجايا والخِصال .

* * *

الفصلُ الثّاني

من معاني الحِلْمِ في معاجِمِ اللُّغَةِ

* تُتحفُنا المعاجمُ العربيةُ قديمُها وحديثُها في توضيح معنى كلمة الحلم ، ولعلَّ أكثر مَنْ توسَّعَ في هذا المجال هو العلاّمةُ ابنُ منظور ـ رحمه الله ـ حيثُ وقف طويلاً عند مادّة الحلم ، ولذا فإنّنا سنعيشُ أويقات حلوة ونحنُ نقرأُ ما جادت به أنفاسُ ابن منظور عن الحلم ، فيقول ما مفاده ومُلخَّصه ومحصّله :

« الحِلْمُ » : بالكسر : الأناةُ والعقلُ ، وجمعُه : أحلام وحلوم .

وفي التّنزيل العزيز : ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ [الطور : ٣٢] .

وقال جرير :

هـل مِـنْ حلـومٍ لأقـوامٍ فتنـذرهـم
ما جرَّب النّاسُ من عضّي وتضريسي ؟

وأحلامُ القوم : حلماؤهم . ورجلٌ حليمٌ من قومٍ أحلام وحُلماء .

وحَلُمَ : بالضمِّ ، يحلمُ حِلْماً ، صارَ حليماً .

وحَلُمَ عنه وتحلَّمَ سواء ؛ وتحلَّم : تكلَّفَ الحلم ، قال الشَّاعر :

تحلَّـمْ عـن الأدنَيْـن واستَبْـقِ وُدَّهـم
ولـن تستطيـعَ الحلـمَ حتّـى تحلَّمـا

وتحالَم : أرى من نفسه ذلك وليس به .

والحلم : نقيضُ السَّفَه ، وشاهدُ حَلُمَ الرَّجلُ بالضمّ ، قول عُبيد الله بن قيس الرّقيات :

مُجرَّبُ الحزمِ في الأمور وإنْ خفَّتْ حلومٌ بـأهلِهـا حَلُمـا

وحلَّمه تحليماً : جعله حليماً ؛ قال المُخبَّل السَّعدي :

وَرَدُّوا صُـدورَ الخيـلِ حتّـى تنهنَهَـتْ
إلـى ذي النُّهَـى واستيـدهـوا للمُحلِّـمِ

أي أطاعوا الذي يأمرهم بالحلْمِ . وقيل : حلَّمه : أمره بالحلم .

* وفي حديث النَّبي ﷺ في صلاة الجماعة :

« ليَلِيَني منكم أُولو الأحلامِ والنُّهى » ؛ أي ذوو الألبابِ والعقول ، واحِدُها حِلْمٌ بالكَسْرِ ، وكأنّه من الحِلْمِ الأناة والتَّثبُّت في الأمور ، وذلك من شعائرِ العُقلاء ، وأحلمتِ المرأةُ إذا ولدتِ الحُلماء .

* « والحليمُ » ؛ في صفة الله عزَّ وجلَّ معناه : الصَّبور ، وقال : معناه أنَّه الذي لا يستخفُّه عصيانُ العُصاة ، ولا يستفزُّه الغضب عليهم ، ولكنّه جعلَ لكلِّ شيءٍ مقداراً ، فهو مُنْتَهٍ إليه .

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود : ٨٧] ، قال الأزهري : جاء في التَّفسير أنَّه كنايةٌ عن أنّهم قالوا : إنّكَ لأنتَ السَّفيهُ الجاهل ؛ وقيل : إنّهم قالوا على

جهةِ الاستهزاء ؛ قال ابنُ عرفة : هذا من أشدِّ سِبابِ العربِ أن يقولَ الرَّجلُ لصاحبهِ إذا استجهله : يا حليم! أي أنتَ عند نفسكَ حليم ، وعند النّاس سفيه ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان : ٤٩] ، أي بزعمكَ وعند نفسك ، وأنتَ المهينُ عندنا[١] .

* وعند أحمد بن فارس ـ رحمه الله ـ نجد معاني أخرى جميلة للحلم ، حيث عقدَ في كتابه « مجمل اللغة »فصلاً عن الحلم فقال :

حلم : الحِلْمُ : تركُ الإعجالِ بالعقوبةِ ، وتركُ الطّيشِ ، يقال : حلُمْتُ عنه ، أحلُمُ حلماً ، وحَلِمَ الأديمُ حَلَماً ، إذا تثقَّبَ وفسد ، قال الشّاعر :

فإنَّكَ والكتابَ إلى عليٍّ كدابغةٍ وقدْ حَلِمَ الأديمُ[٢]

---

(١) لسان العرب (١٢/١٤٦) بتصرف يسير جداً .
(٢) مجمل اللغة (ص ١٨٠) مادة حلم ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، طبعة ١٩٩٤ م .

* ونقرأُ عند الزَّمخشري عن الحلم فيقول ما مُلخَّصهُ : يُقال : حَلُمَ فلان ، فهو حليمٌ ، وفيه حِلْمٌ أي أناة وعَقْل ، وهو من ذوي الأحلام ، ولهم أحلام عاد ، وتحلّم : تكلَّف الحِلْمَ ، قال حاتم :

تحَلَّمْ عن الأدنين واستبقِ ودَّهم
ولن تستطيعَ الحِلْمَ حتى تحلّما

وحَلُمَ عن السَّفيه ، واللهُ حليمٌ عن العُصاة : لا يعاجلهم بالعقاب[1] .

* وقال الفيومي في المصباح المنير : حَلُمَ : بالضَّمّ ، حِلْماً ، بالكسر : صفَحَ وستر ، فهو حليم ، وحلَّمتُه بالتَّشديد : نسبتُه إلى الحِلْم ؛ وباسم الفاعل سُمّي الرَّجلُ مُحلِّم ، ومنه : مُحلِّم بن جثّامة ، وهو الذي قتلَ رجلاً بذحَل الجاهلية بعد ما قال لا إله إلا الله ، فقال عليه السَّلام :

---

(١) أساس البلاغة (ص ١٤٠) دار الفكر ، بيروت ، طبعة ١٩٩٤ م .

« اللهمَّ لا ترحم محلّماً » ، فلمّا مات ودُفِنَ لفظته الأرضُ ثلاثَ مرّاتٍ[1] .

* وعند أبي البقاء الكفوي نجد أنَّ الحلمَ له مساحة في « كليّاته » ومنها : حَلُمْت : عن الرجل أحلُمُ حُلْماً وأنا حليم ، وبابه كَرُم ، ومصدره الحِلْمُ بالكسر ؛ وهو الأناة والسُّكون ، مع القُدرة والقوّة[2] .

* * *

(١) المصباح المنير للفيومي (ص ١٤٨) .
(٢) الكليّات (ص ٤٠٤) .